نهاد درويش

الحيل النفسية

نشر
مكتبة دار الفتح
دمشق

توزيع
المكتب الاسلامي
بيروت

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م دمشق

الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

﴿إنّ الذينَ اتّقَوْا إذا مَسّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشّيْطانِ تَذَكّرُوا فَإذا هُمْ مُبْصِرُون﴾[1]

إلى هؤلاء أقدّم هذه الرسالة ...

---

١ – الاعراف : ٢٠١

مقدمة

حول مبرر كتابة هذا البحث

لا شك أننا بدأنا نلمس بوادر اتجاه جديد في علاج مشكلاتنا ، اتجاه أكثر موضوعية ... يلتفت إلى الجانب الذاتي (أي العوامل الداخلية التي نخرت في مجتمعنا هذا) أكثر مما يلقي التبعة على أي عامل خارجي ..

لقد جال في ذهني طويلاً سؤال لازمني دوماً ، وهو وإن تغيرت صورته وصيغته أحياناً ، إلا أنّ جوهره يبقى ثابتاً ، وهو :

بما أن المقدمات الصحيحة لا تعطي إلا نتائج سليمة ، وحيث أن مقدماتنا (كمسلمين من ناحية صحة العقيدة) سليمةٌ .. فما السرّ في كوننا على هامش التاريخ متخلفين متردين؟..

لقد رسّخ هذا السؤال في ذهني التمييز بين النظرة العقيدية إلى المبدأ (أي فيما يتعلق بصحته أو عدم صحته) وبين النظرة الاجتماعية (وهي ما يتعلق بامتثال المبدأ واستخدامه في الحياة وتطبيقه لتبرز آثاره ونتائجه الاجتماعية في الحياة الدنيا) .

وقد كانت معظم أبحاث المسلمين تتركز حول الجانب الأول . وقلّما تتطرق إلى الجانب الآخر ، وإن حدث فتطرق عرضي .. بمساسٍ سطحي لا يجعل قضيةَ استخدام العقيدة اجتماعياً ، والدعوةَ إليها عن طريق إبراز آثارها ونتائجها في الحياة والمجتمع ، لا يجعل ذلك محوراً أساسياً للبحث ..

لذا رأيت أنْ أشرَعَ في عرض ما أتمكن منه من هذه المواضيع ، مبتدئاً ببعض الثغرات النفسية التي أراها تحدد مسلكنا الآن .. تحديداً سلبياً ، وتحول دون استخدامنا لوسائلنا البسيطة والمتاحة ، فتحدّ بالتالي من فعاليتنا وتعوقها ... وتعمل على استمرارِ ما نحن فيه من تأخر .. وجمود . وكسلٍ مسوّغٍ مُبَرَّرٍ .

وقد حاولتُ أنْ أمنع اتّسام البحث بالجمود والجفاف بأن جعلت جوهره محاطاً بإطار يوضّحه . ذلك أنني تناولت (الحيل النفسية) على أنها مداخل للشيطان[1] ينفذ من خلالها

(١) لا يهمنا بحث ماهية الشيطان وطبيعة غوايته ، ولكن الذي يهمنا هو نتائج هذه الغواية وطرق تجنبها ، لأن هذه النتائج تحرف النفس وتشلها ، وتعوق فعاليتها ، لذا كان موضوع الشيطان إطاراً للبحث في (الحيل النفسية) أو (معوقات الفعالية) ، فعلى الرغم من تدخل الشيطان في حرفه النفس إلا أن بحث موضوعه ليس هو الغاية من هذه الرسالة .

إلى النفس الإنسانية عامة وإلى النفس المسلمة خاصة.. فيشلّها ويمنع فعّاليّتَها .

ـ وقد كانت آياتُ القرآن الكريم خيرَ مرشدٍ لي في إيضاح هذه الحقائق وتبسيطها ..

فعسى أنْ يوفقنا الله إلى ما فيه خيرنا وخير أمتنا الإسلامية وأنْ يقرّبنا من الموضوعية في تقويم مشكلاتنا .. ونفوسنا .. التي اعتدنا أنْ نقدّسها ، ونقدّس ما ورثته من مفاهيم !..

هذا على أمل أنْ يوفقني الله عزّ وجلّ ، ويتيح لي الاستمرار في عرض هذه المشكلات عرضاً يمكننا من وضع حلولٍ لها . والله المستعان .

نهاد درويش

دمشق : جمادى الآخرة ١٣٩٠

آب ١٩٧٠

تمهيد

﴿إنّ الشّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ، فَاتّخِذُوهُ عَدُوّاً﴾ *

صدقت يا رب !..

لن يخفى على المتأمّل في معنى هذه الآية ، الجانبان الهامان فيها .

إذ يقرّر الله تعالى في الجانب الأول ، عداوة الشيطان ، وإنها لحقيقة !..﴿إنّ الشّيْطَانَ لِلإنْسانِ عَدُوّ مُبِينٌ﴾. لكنها حقيقة نظرية مجردة ، لا توْتي أُكلها إنْ نحن لم نلتفت إلى الجانب الآخر ... الجانب العملي التطبيقي المسلكي ، لتتولّد لدينا حقيقة أخرى تبرهن عن صدق إيماننا بالمعتقد النظري الأوّل ... إنه جانب ﴿فَاتّخِذُوهُ عَدُوّاً﴾ . حيث لا يكفي أنْ نعرف عداوة الشيطان لنا ، ونعتقد بذلك مجرداً ، إنما ينبغي أن نعاديه بسلوكنا لنحقّق أمر الله عز وجلّ :

﴿فاتّخِذُوهُ عَدُوّاً﴾ .

---

* فاطر : ٦

إننا لا نخشى على النفوس الكافرة من الشيطان . فتلكم قد عاش فيها ورتع .. يزيّن لها سوء أعمالها ويصدّها عن سواء السبيل حتى تولّته وألفته . فغدا جزءاً منها .. جزءاً ينسجم مع نفس غير مؤمنة . أو غير مسلمة حقاً !..

ولكن الخوف كل الخوف . على أنفسٍ لم تَحْسِبْ للشيطان حساباً واقعياً . بل إنها وإنْ كانت تعترف نظرياً بقابليتها لألاعيبه وإغوائه لكونها غير معصومة . تجدها في الواقع لا تلتفت إليه . ولا تقتنع أحياناً بوجوده فيها أو بدخوله إليها من طرقٍ خفيّة . طرقِ الحيل النفسية .

وإنّ من أخبث ألاعيبه في المكر والاستخفاء نفاذَهُ إلى نفوس تعتقد أنها معقمةٌ ضدّه ، محميةٌ من آثاره ، بعد أن كوّنت حولها هالةً من الاطمئنان لوضعها .

لذا كان لزاماً علينا أنْ نتطرّق إلى هذه المواضيع في بحث ثغرات خفيّة في النفس الإنسانية عامة . في نفس الإنسان السائد في مجتمعنا الحالي بشكل خاص .

إنها ثغرات ينفذ منها الشيطان حتى تصبح وكأنها (طبيعة ثانية) للنفس فيطول عليها الأمد فلا تعود تشعر بخطر ما أصابها .

وبالتالي فلن تتوجّه إلى إصلاحها الذاتي ، مما يبقي القضية في إبهام تام ، وضرر مستمر .

إن للشيطان مداخل عديدة ، يدخل منها إلى هذه النفس .. وسنأتي على دراسة ثلاثة منها تعدّ حيلاً نفسية تسهّل دخول الشيطان ونفاذه ، وهي :

١ ـ العائق الوحيد .

٢ ـ الكمال الزائف .

٣ ـ تضخيم جانب لتسويغ حالة معينة .

العائق الوحيد

الإيمان يزيد وينقص !..

إنّ ذلك يبدو من خلال آثاره ونتائجه المعنوية : (كتوثّب النفس للتعبير عنه ، والشعور بحلاوته النفسية الذاتية) ومن خلال آثاره الملموسة أيضاً (كالفعالية في العمل ، واستخدام الوسائل والجهاد والصبر على التحصيل والدراسة والتعلّم ، والتحرك المستمر بلا فتور لخدمة الإسلام بالدعوة والبناء الفردي والاجتماعي) .

إنّ هذه الحالات إنْ بلغتْ مبلغاً إيجابياً حسناً من الزيادة والتوتر والقوة ﴿خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ﴾* كان ما نحب وما نريد من زيادة الإيمان ، أو المحافظة على استمراره .

أما إذا ما ضعُفت الآثار الإيجابية وظهرت السلبية منها . كالفتور والتلاشي في الإيمان فممّا لا ريب فيه أنّ ذلك الإيمان هنا قد أضحى في خطر ، لأنه أخذ يتصدّع ويتناقص ، ممّا يستدعي وضع حدّ لذلك وعلاج لما تهدم .

---

* البقرة : ٦٤

فإن أدرك صاحبه ــ بيقظته ــ انحدار الخط البياني لإيمانه ، ولمّس ذلك الضعف المتسرّب ، فإنه يعزم على تحسين وضعه ، وإعادة قوة إيمانه ؛ كأنْ يرجع إلى ما اعتاده من بناء نفسه ، ومن برامج فكرية وعملية وغيرها مما ينفعه ؛ كان قد هجر بعضها أو كلها . ولعلّ إنساناً آخر يعزم على التزام الإسلام مجدداً ويقرر اعتناقه ــ كمنهج لحياته (لا كمفاهيم جامدة) ــ وذلك بأن يتحرّر من آصار المفاهيم الوراثية الخاطئة ، ليكوّن بعلمه وتحصيله معتقداتٍ وأفكارَ صحيحة واعية .

لقد عزم على هذا !..

هنا قد يتدخل الشيطان ليحُول دون تنفيذ ذلك بأنْ يضع لهذا الإنسان (المرتجع أو الجديد) عائقاً يصوره له وحيداً ، ويبديه أنه إذا زال هذا العائق فستزول كل عقبة ؛ وسيتحسّن الوضع . وسيصل الإنسان إلى ما يبغيه !!!..

ويا لمكر الشيطان ، إذ يبدي له ذلك العائق الوحيد واقعياً ومقبولاً ومن صميم حياته وبيئته ومركزه الاجتماعي ، فمثلاً : يقوم بتصويره للمزارع حتّى يجعله يقول : إنني عازم إنْ شاء الله على تربية أسرتي وأولادي حالما أنتهي من أمر واحد

هو حراثة أرضي أو قطف ثمار مزروعاتي أو تسويقها !..

يضعه للطالب من نوع عمله ، بحيث يجعله يقول : ليس أمامي سوى الامتحان المقبل ، أجتازه ثم أتوجه إلى الإسلام وإلى الدعوة إليه وإلى تحسين حالي وثقافتي ومسلكي !..

وقد لا يصور له الأمر في امتحان معين ، أو في دورة جامعية مقبلة فحسب ، بل يجعله يطيل ويفرط في الأمل حينما يجعل عائقه الوحيد هو مرحلة دراسية بكاملها قد تطول سنتين أو ثلاث سنوات أو أكثر ..

فكأنه هنا قد أقنع نفسه وسوغ لها سوء وضعها سلفاً .. في فترة زمنية طويلة هي مرحلة ... العائق الوحيد المتوهّم بحيث اطمأن إلى وضعه ، وركن إلى الدنيا منتظراً زوال المانع الوحيد المزعوم ...

وبشكل أشمل .. هناك أمثلة عديدة تختلف فيها صورة العائق حسب عمل الإنسان ويبقى جوهرها واحداً ، فالتاجر يرى أن مشكلته ستحل حالما ينهي هذه الصفقة !. أو عقب ترميم مخزنه أو إصلاح تجارته،والأب يظنها ستزول بزواج ولده ، والابن يعتقدها بتغير معاملة أبيه ..

وقد يراها آخر بإنجاز بناء أو عمل معين أو إنهاء سفر أو معاملة ما ...

وهكذا تشترك الأمثلة هذه جميعاً في اتحاد جوهر الحيلة واختلاف مظاهرها وأشكالها ، كما تبين أنّ هذا المدخل الخفي للشيطان قد يعمّ أفراد مجتمع بأسره .

إن هذه الثغرة ، وهذه العقبة الوحيدة تعطل البناء ، وتشلّ اليوم آلاف الناس بل ملايينهم وتجعلهم يفصلون – عملياً – بين الإسلام والحياة !! ...

إذ يدل واقعهم على معتقدهم ، بأنّ إنهاء أمر هام من أمور الحياة ، سيمكنهم من التوجه إلى الإسلام أو العودة إلى ميدانه والدعوة إليه . وكأن للحياة مجالاً وللإسلام مجالاً آخر !! ...

والأغرب ، أنه بعد أن يزول هذا المانع الوحيد لا نرى صاحبه قد وصل إلى ما كان يمنّي به نفسه من وضع جيد !.. وإنما قد أوهمه الشيطان بمانع آخر يجعله وحيدا أيضاً !.. ثم يستمر التخدير بالأماني المعسولة ..

وقلّما ينجو أحد من هذه الأحبولة الشيطانية !. وصدق الله إذ يقول :

﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ . وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً ﴾ * .

إن الواقع ليشهد ضدّ معظم أولئك الذين ينتظرون زعماً معيناً يتفرغون فيه للإسلام ، وكأنّ الإسلام أمر والحياة أمر آخر منفصل عنه .

والواقع يشهد أيضاً بإمكانية محاربة عائقنا الوحيد .. وإغلاق هذا المنفذ الخفي للشيطان . وإن ذلك ليتم بخطوتين :

١ — كشف هذه الحيلة والسيطرة عليها بمعرفتها وفضحها في نفوس الذين لم يدركوها بعد . وذلك حتى يباشروا في الخطوة العملية الثانية وهي :

٢ — تنفيذ أي عمل أو خطوة أو برنامج . سواء أكان يومياً أم شهرياً أم سنوياً بدءاً من اللحظات الأولى التي تعقب الانتهاء من مرحلة التخطيط مباشرة ، التخطيط الذي قد يكون

---

* النساء : ١١٩

صريحاً ، وقد يكون ضمنياً وهو ما نستطيع تسميته بالعزم أو النية القلبية .

أضرب لذلك مثالاً في البناء الفردي (الثقافة) .. قد يشعر امرؤ بضرورة الدراسة والاطلاع على آثار المفكرين والدعاة والكتاب ، ويحسّ بوجوب العلم بالإسلام ودراسة نواحيه المختلفة ، ولكنه يسوّف ويؤجل متذرعاً — كما سبق — بامتحان أو مشكلة شخصية ! أو أية عقبة كانت ؛ فيتعطل أياماً وأشهراً وأحياناً يتعطل سنوات ليستفيق وقد بقي في مكانه لم يبرحه ، ولم يستزد مما أراد شيئاً ، وهكذا تنقضي مرحلة حيوية من عمره ، وبالتالي يفوته الشيء الكثير .

وكم من رجل انتهت حياته ولم يبدأ حياته !. وانقضى عمره ولم يُنِبْ إلى الله ولم يتُبْ . مع أنه كثيراً ما كان يعزم على إنهاء ما يكره من أمره أو سلوكه وعاداته ، بيد أنه كان يقفز من عائقه الوحيد الوهمي . إلى عائق وحيد آخر ، ذلك أن الشيطان :

﴿يَعِدُهُمْ .. وَيُمَنِّيهِمْ .. وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً﴾ .

فيخسر هذا الرجل نفسه وحياته دون أن يصحو أو يعي وضعه . وإن الحل بالنسبة لأمثال الذي ذكرته في المثال أن يبدأ منذ الآن . متجاهلاً ما يعتقده من أنّ بناءه لنفسه ؛ سيعطل أموراً هامة كبيرة ومشاريع عظيمة.ولعمري إن تعطيلها لوهمي. ثم أن يذكر دوماً خطر هذا المدخل ويستحضره دائماً ويحذّر منه .. ويبدأ بواجبه المتواضع .. يبدأ من الخطوة الواحدة – ولو كان يريد قطع طريق طويل – .

(فالطريق الذي طوله ألف ميل يبدأ من الخطوة الواحدة) كما يقول مثل إنكليزي !. ذلك وإلا عطل المرء نفسه وعطل التاريخ . يقول المفكر الإسلامي (مالك)[1] عن أن التاريخ يبدأ من مرحلة : **(... الواجبات الخاصة .. بكل يوم .. بكل ساعة .. بكل دقيقة .. لا في معناها المعقد كما يعقده عن قصد أولئك الذين يعطلون جهود البناء اليومي بكلمات جوفاء وشعارات كاذبة يعطلون بها التاريخ بدعوى أنهم ينتظرون الساعات الخطيرة . والمعجزات الكبيرة)** .

ولو زدنا على هذا القول شرحاً نقول : كما أن مجموع

---

(١) في مهب المعركة صفحة ١٠١

أمة أو شعب من المصابين بالعائق الوحيد يعطل التاريخ والبناء الاجتماعي (الحضارة) كذلك فإن أثر الفرد منهم على نفسه أنْ يعطل بناءه الفردي الخاص (الثقافة) بدعوى انتظار الساعات الفارغة تماماً والظروف الخيالية واللحظات الكبيرة الخالية إطلاقاً من أي عمل !. ليبدأ العمل !..

إنّ مثل هذا الفرد لا يحسن استخدام الوسائل التي أتيحت له بل لا يستخدمها مطلقاً ، ومع هذا تراه ينشد وسائل لا يملكها .. وسائل أخرى ليستخدمها .

والزمن هنا ليس إلا وسيلة للبناء !. إنه لو استفاد مما بيده ويملكه الآنلأتاح الله له إمكانات أخرى . فمن عمل ما يستطيع ، مكنه الله من عمل ما لم يكن يستطيعه ، وجاء عن المسيح عليه السلام (من عمل بما يعلم ، أورثه الله علم ما لم يعلم)[1] .

إن العلاج يبدأ من استخدام ما نراه أقل الإمكانات وأبسط

---

(١) ورد هذا القول في طبعة سابقة على أنه حديث نبوي شريف ثم ثبت لنا أنه قول للمسيح عليه السلام .

الوسائل.. **(ولو كان ذلك نصف ساعة من فراغ وقعت بين عملين كبيرين جبارين ، ولو كانت فرصة بين حصتين مدرسيتين)** .لأني أرى ذلك مما يحدد شخصية الإنسان الاجتماعية من وجهة نظر الفعالية !. ينبغي ألا ننتظر إنهاء ما نظنه من الواجبات الكبيرة لنبدأ بغيرها مما نعتقده بسيطاً هيناً .. بل أن يستمر العمل والاجتهاد طالما أن هنالك ما يسمى (بالوقت) ترافقه (الاستطاعة) . وبذلك نضمن سدّ هذا المدخل الشيطاني إلى نفس تجهله، ونحلّ كثيراً من مشكلاتنا الفردية والاجتماعية والتي ترجع أهمّ أسبابها إلى العطالة والجمود والكسل المبرّر .. وسيرى كل امرىء حصيلة تطبيق هذه الفكرة بعد عامل زمني كاف وسيندهش للنتائج . وسوف يوقن بوهمية هذه العقبة ويدرك سهولة القضاء على كيد الشيطان ومكره : ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ * .

ولكن ضعف كيده لن نتغلب عليه بضعف إرادتنا وقلة وعينا ، وعجز همتنا !..

إنما يتم ذلك بقوتنا وصبرنا على استخدام إمكاناتنا لتحسين

---

* النساء : ٧٦

المسلك وتنمية الفكر والعقل والنفس وكافة مقومات الإنسان المتميّز . وممارسة هذه الأمور يحتاج إلى رصيد دائم متجدد من الصبر والإيمان والثقة بالله وسنّته في الكون الثقة بأننا سنصل إلى نتيجة ترضينا إذا ضَمِنّا الإخلاص والصواب . والأهم هو الاستمرار ، فلقد جاء في الحديث الشريف :

﴿.. وأحَبّ الأعْمَالِ إلى اللهِ أدْوَمُهَا وَإنْ قَلّ﴾.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الكمال الزائف

قد ينكر امرؤ وجود عائق وحيد واضح في حياته يعطله ، ومع هذا تراه جامداً ، معطّلاً ، غير فعّال .. وذلك لعدم شعوره بضرورة العمل أو الحركة ، ولاعتقاده أنْ ليس هناك ما يستدعي بذل الجهود . ورغم أنه قد لا يعترف بذلك بلسانه . إلاّ أنّ واقعه يشهد عليه ، إذْ أنّ لكل إنسان معتقدات وقناعات نظرية . بالإضافة إلى مظاهرَ للتعبير عنها تبدو على السلوك وعلى ممارسته العملية لما يحمل من أفكار ومفاهيم . وإنّ الناحية المسلكية قد تطابق المعتقدات النظرية ، وقد تخالفها.

فكلما كانت درجة التوافق جيدة وعالية ودقيقة ، كان ما يدعو إليه هذا الإنسان أعظمَ مردوداً وأفضلَ تأثيراً . ولكن في واقع الحياة . وسَير التاريخ :

(ليست قيمة الإنسان فيما يعتقده نظرياً وما يعرفه ويعلمه بل فيما يلتزمه سلوكياً وعملياً من اعتقاداته ..) .

إنّ أغلب المسلمين الآن يعتقدون نظرياً بقابليتهم لإغواء

الشيطان لكونهم بشراً غير معصومين أو منزّهين .. ولكن ما هو واقع الأمر الذي تعبر عنه أحوالهم السلوكية وواقعهم العملي؟ إنه الإصابة بحيلة نفسية ومدخل شيطاني وهو (الكمال الزائف).

وهو ذلك الشعور بالطمأنينة للوضع الفردي والاجتماعي ، والإحساس بأنه ما من شيء ينبغي أن يتغيّر ، وليس هنالك ما يقتضي التبديل أو يستوجب التحسين ، فإذا ما أدّى المسلم الفرائض (الرئيسية) وزاد عليها ببعض النوافل والتطوعات البسيطة الأخرى ، اطمأنّ واكتفى ، ووصل إلى درجه الشعور بالكمال ، ولو لم يقرّ بذلك صراحة .. فتقصيره وضعف فعاليته ومبادرته ، وعدم تسخير وقته ووسائله لما هو نافع مؤثر في سير التاريخ ،.. ثم اقتناعه (وأي اقتناع) بأن أسلوبه هو الحق الصحيح الكامل وما دونه الخطأ والباطل ..

... إن كل هذه الأمور لتنبيء عن مرضه ، وإنّ تصوره بأنه وصل إلى درجة لا يحتاج بعدها إلى إعادة النظر فيما عنده ، ليس إلا شعوراً بالكمال (كمال العقم) الذي لا نتيجة إيجابية بعده .

صحيح أنه علينا ألا نيأس ، وأن نبقى متفائلين ، محسنين

الظن بالله ﴿ولا تَيْأسُوا مِنْ رَوْحِ الله﴾ * . إلا أنّ هذا لا يعني أنْ نقع في المزلق المقابل ، بأنْ نبقى في حالة من الركون والأمن المفرط .. والغرور بالوضع لنصبح ممن يأمن مكر الله : ﴿فَلاَ يَأمَنُ مَكْرَ اللهِ إلاّ القَوْمُ الخَاسِرُونَ﴾ * وهذا — كما قلت - يحدده واقعنا لا أقوالنا ومعتقداتنا النظرية المجردة . إنّ هذه الألعوبة الشيطانية كفيلة بأنْ تحجّر الفرد وتجمّده حول قناعات خاصة كوّنها لنفسه -- وعقّمها — فأصبح وكأن ما لديه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فتموت قدرته على النقد الذاتي الصحيح ، والتقويم الموضوعي لأفكار الآخرين فيتقوقع . ويمسي وكأن ما يحمله فقط هو الصواب . مما يحرمه من إصلاح أخطائه من جهة ، ومن الاستفادة من الصواب الذي يأتي به غيره من جهة أخرى .

إن البقاء المتزن في حالة نفسية سليمة والذي يعقب حد الشعور بالأمن والكمال .. ولا يصل إلى حد اليأس أو يتعداه . وإنّ الشعور الدائم بالتقصير ! الشعور الإيجابي الدافع للعمل اليومي والآني . كفيل بأنْ يُبقي التوتر والفعالية للإنسان ويمنحه

---

* يوسف : ٨٧

* الأعراف : ٩٩

القدرة على العمل ، والإثمار ، والاجتهاد ، والإنتاج ، وبالتالي يقربه من الموضوعية . ولنترك المفكر الإسلامي (مالك) يتحدث عن ذلك[1] .

(ومصدر هذا البلاء – أي الشلل والشعور بالكمال – معروف ، فمن المسلّم « به » الذي لا يتنازع فيه اثنان أنّ الإسلام دين كامل ، (وبما أننا) مسلمون فنتج إذاً « أننا » كاملون .

قياس خاطىء مشؤوم يقوّض قابلية الفرد للكمال بالقضاء على همته نحو الكمال) .

والحق أننا مسلمون ولسنا نحن الإسلام لنقول إننا كاملون، فالإسلام كامل منزّه لا يُدان ، ونحن كمسلمين قد نقترب من الإسلام في تطبيقنا أو نبتعد عنه مما يجعلنا غير كاملين ولا منزّهين عن النقص والتقصير ،ومعرضين للأدانة والخطأ [2].

---

(١) من كتاب العالم الإسلامي .

(٢) صحيح أن الله تكفل بحفظ الإسلام (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) لكنه عز وجل جعل استخلاف المسلمين مرهوناً بجهودهم لتطبيق الإسلام وجهادهم لنشره ... (راجع فصل : « منهج البشر » في كتاب – هذا الدين – لسيد قطب) ..

فالخلط بين المبدأ والتطبيق – أو بين القاعدة والمثال – أو بين الإسلام والمسلمين ، جهلٌ يولّد الكمال الزائف ، وهذا الضعف يصح تسميته بالشلل الأخلاقي الذي يمكن تعريفه بـأنه :

فساد الجهاز النفسي الذي يدفع إلى التقدم عن طريق شعور المرء بخطئه وتقصيره والاعتراف بهما .

ولا شك أنّ هذا مدخل مُمَوّهٌ من مداخل الشيطان الماكر إلى النفوس المسلمة ، وقد بلغ حداً من التمويه والخفاء بحيث يصعب على صاحبه كشفه ، إذ سرعان ما نراه يلتمس أمثلة في ذهنه من نفوس الآخرين ، ليستطيع فهمه ويتجاهل شخصه ونفسه فتكون الطامّة أعظم . ونحن لا نخاف من طبيعة هذه الحيلة ، وهذه الثغرة ، بقدر خوفنا من نتائجها ، إذ دائماً يعقب هذا الشللَ الأخلاقي شللٌ فكري واجتماعي ، من شأن الأول أنْ يمنع البناء الفردي السليم (الثقافة) ، ومن شأن الآخر أنْ يحول دون البناء الاجتماعي السليم أيضاً وهو (الحضارة) .

إنّ واقعنا يفسّر ما قد أقنعنا أنفسنا ضمنياً به وهو :

أنه لكوننا مسلمين فإنّ الله قد أحبّنا وسينجّينا وسيرزقنا وسينصرنا .. الخ . متجاهلين سُنّة الكون في الجد والعمل وبذل الجهود لا تجاهلاً مفاهيمياً نظرياً.بل تجاهلاً واقعياً في مسلكنا ، ولا غرابة : **فالمقدمات السليمة لا بد إلا وأنْ تعطي نتائج سليمة حتماً . فإذا ما رأينا خللاً في وضعنا الاجتماعي الذي هو نتيجة لأوضاعنا النفسية وأفكارنا فلا بُدّ أنْ نراجع ونعيد النظر في هذه !. وخاصة معتقداتنا (اللاشعورية) التي أصبحت توجه سلوكنا بشكل خاطىء دون أنْ ندري لأنها أصبحت بديهيات ضمنية لا تحتاج إلى استكناه واستبطان أو إعادة نظر !... (كاعتقادنا الضمني بكمالنا !.)**

إن تغيير ما بالنفس من مفاهيم من شأنه أنْ يغير ما بالقوم من واقع . ﴿إنّ اللهَ لا يُغَيّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيّرُوا مَا بِأنْفُسِهِمْ﴾* .

فمجرد إحساسنا بأننا (أحباء الله) «والذي كثيراً ما كررت أنّ وضعنا العملي هو الذي يشهد على ذلك »

---

* الرعد : ١١

إنّ مجرد الشعور العاطفي بذلك لن ينفي عنا مسؤوليتنا عن أي سوء في أوضاعنا النفسية أو الاجتماعية . ذلك أن الله تعالى يقول وقوله الحق : ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ . مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ * .

فالأمر إذاً ليس بأمانيّنا ، أو عواطفنا الذاتية ، أو مشاعرنا الخاصة ، إنما هو يخضع لسُنّة العمل ونتيجته .

لذا كان علينا أنْ نمحو من أنفسنا هذا الشعور بالكمال ونقضي على هذه الحيلة النفسية .. التي تشعرنا خطأً بحسن أوضاعنا ، والتي تجعلنا نعتقد أننا معقّمون ضد النقص والشيطان، إن ذلك الاعتقاد جزءٌ من مكره .

يقول أحدهم [1] :

(إنّ من أمكر حيل الشيطان أنْ يقنعنا بعدم وجوده) .

ليس عدم وجوده في عالم الواقع دائماً ، بل عدم وجوده

---

* النساء : ١٢٣

(١) الفيلسوف (دنيس دي رجمون) في كتاب دراسات في النظم والمذاهب .

داخل أنفسنا أيضاً وهذا هو الشلل الأخلاقي أو الكمال الزائف بعينه .

فلنشرع بالمعالجة الإيجابية لهذه الثغرة بالتحصيل المستمر والعمل الدائب والاعتماد على التجرد والموضوعية في الأحكام والتقويم — قدر الإمكان — وأنْ يتم كل ذلك ضمن إطار من طاعة الله وذكره الدائم، للوصول إلى ما يحبه ويرضاه ، وإلا فالنتيجة معروفة واضحة .

﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ * . إنّ ذكر الله ، وهو حالة نفسية يسودها الشعور بمراقبة الله لأعمالنا وأقوالنا والتي يترتب عليها التبصر في العمل أو القول قبل الشروع فيه والذي يمكن أنْ نعبّر عنه بالتماس الإخلاص والصواب معاً ، إنّ هذا الذكر علاوة على كونه ذكراً لسانياً وقلبياً قد يكون أيضاً بالتوجه إلى الله في أقوالنا وأعمالنا وحياتنا واتباع أوامره في السعي الدائم والعمل المستمر وتحري الصواب ، وباختصار لا يكون ذكر الله في الإخلاص والتوجه القلبي فحسب بل

---

* الزخرف : ٣٦

في الإخلاص والصواب معاً .

فملتمس الإخلاص الذي يحقق معه الصواب لا بد وأن يكون أنفع الناس للناس وذلك لصفاء نيته وتوجهه أولاً (أي التماس الإخلاص) ولتبصره في سعيه ونشاطه وحركته ثانياً الأمر الذي يضمن له حسن النتائج النافعة (وهذا التماس للصواب) فليست صحة النتائج في مجالنا هذا إلا النفع الحقيقي للناس ، وقد جاء ذكر هذا النموذج في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (خَيْرُ النّاسِ أنْفَعُهُمْ للنّاسِ) .

ولأنه عَمِل وأثّر وقدّم نتائج جيدة مفيدة ، فتحركُه هذا هو دليل على إنقاذ نفسه أيضاً من سرّ العطالة . من الحيلة النفسية الشيطانية (الشلل الأخلاقي) أو (الشعور بالكمال الزائف) . وينبغي التنويه إلى أن هذه المواضيع التي تقوم ببحثها مترابطة متداخلة مما يجعلنا نقول أنّ الوصول إلى درجة هذا النموذج الإنساني الفعّال الذي ذاكرت ميزاته لن يتمّ إلا بعد تحطيم العائق الذي يتراءى لكل امرىء حسب اهتمامه أو مهنته .

تضخيم جانب واحد

لتسويغ وضع أو حالة معينة !..

لعل من أخطر الأمور حينما ينحرف المسلم .. أن يقنع نفسه بشرعية انحرافه من الإسلام ذاته ، ليبرر حالة معينة أو وضعاً ما ، وهذا قد ينتج الحيلة النفسية السابقة — الكمال الزائف — .

إنّ من مكر الشيطان أن يأتي من حيث لا نتوقعه..وأنْ يحاربنا بسلاحنا الذي ينبغي أنْ نحاربه فيه ، لذا ترانا وقد أصبح الإسلام إدانةً لنا ، والآيةُ القرآنية حجةً علينا لا حجةً لنا !.. فمن المعلوم أن للإسلام تصوراً معيناً للكون وللحياة الدنيا يتطلب من المسلم أنْ يحيا دنياه ، ويسخرها ، وينتج فيها دون أن تستعبده ، بأنْ يبقى متصلاً بالله .. فإنّ هذه الصلة وهذه الروح الخاصة التي تُقَوّمُ الدنيا في كل لحظة تقويماً يتحدد به سلوك الإنسان المسلم المقوّم : ﴿وابْتَغِ فيما

آتاكَ اللهُ الدّارَ الآخِرةَ ، وَلاَ تَنْسَ نصيبَكَ مِنَ الدّنْيَا﴾* هذه الروح قد تعلو وتتوثب ، فتعطي مردوداً حسناً ، صحيحاً ، وقد تخورُ ، وتخبو ، وتضعف ، فيتضخم جانب التعلق بالدنيا على حسابها ليصبح المصاب بذلك غير بادية عليه أية تغييرات ظاهرة أو آثار خارجية ملحوظة ، إلا أن انقلاباً داخلياً قد حدث في نفسه ، وتغيّراً متدرجاً لا يشعر بخطره ، ولا يدرك مستقبل ضرره !.

فإذا ما استبطن نفسه ، أو فُوتح بالأمر من قِبَل غيره ، ترى تدخّل الشيطان من جانب أمين ومن ثغرة خفية وبحيلة نفسية خبيثة ، بأنْ يسوّغ له وضعه من القرآن نفسه . فلا يعود يذكر أو يتمثل من الكتاب كله سوى بضعة آيات تبيح له التعامل مع الدنيا مثل :

﴿هُوَ الذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فامْشُوا في مَنَاكِبِهَا .. وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النّشُورُ﴾* أو ﴿قُلْ مَنْ حَرّمَ زِينَةَ اللهِ الّتي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ والطّيّبَاتِ

---

* القصص : ٧٧

* الملك : ١٥

مِنَ الرِّزْقِ ؟ ﴾ * صحيح أن هذا من الإسلام .. ولكن ليس هذا هو الإسلام ! فهو جانب نحن مطالبون به كمسلمين إلا أنه قد يشغل من خريطة الإسلام (التصورية) الشاملة حيزاً قدره ٢٠بالمئة في حين نراه عند من تضخم لديه قد بلغ واقعياً نسبة تساوي ٨٠ أو ٩٠ بحيث صار ذاكم الرجل يصرف ٨٠بالمئة من وقته أو طاقاته وإمكاناته للدنيا وللكسب وللسعي المادي ، ثم يترك الجزء الضئيل الباقي لتربية نفسه وأولاده وأسرته ومجتمعه ، ممّا لا يكفيه حتماً !.. ثم تراه بعد ذلك مقنعاً نفسه بأنه لم يشذّ عن الإسلام ، إنما هو مطبق لآيات القرآن الكريم التي تحث على السعي والتحصيل الدنيوي !.

إننا لا ننكر أهمية هذا الجانب ليتّزن المسلم ، ولكننا لا نرضى أبداً أنْ يتضخم هذا الجانب (عملياً) على حساب جوانب أخرى !.. إنه ولا شك حيلة نفسية ومدخَل شيطاني خفي إلى النفس المسلمة ، التي غالباً ما تجهل خطره ، لأنه مسوّغ سلفاً ومن القرآن نفسه مما يشعرنا بعدم الحاجة إلى بحثه .

غير أن هذا مثال لقاعدة كثُرت تطبيقاتها في حياة المسلمين اليوم ، إذ غدوت نتيجة لذلك ، وفضلاً عن هذا الإسلام

(الدنيوي) ترى إسلاماً (مظهرياً) وإسلاماً (أخلاقياً) الخ ..

وكلها نتيجة لتضخيم جانب وضمور أو تجاهل الجوانب الأخرى ، ويظل الوضع مع ذلك شرعياً مبرراً لدى صاحبه لأنه يحتج قائلاً : ألا يتطلب الإسلام ذلك مني ؟ أليس هذ من الإسلام ؟. فهناك امروٌ إسلامه (مظهري) إنْ صح التعبير ضخم في نفسه هذا الجانب فلم يعد يرى إلا العظمة (الفارغة) والتقديس لشخصه ، وأصبح عنده الإسلام ليس إلا مانحاً لمركزه الرفيع ولمكانته الاجتماعية وسموه بين معارفه من الناس وعزة نفسه وشخصه فقط ..

ولو تعرض له أحدهم .. وإلى هذا الجانب المضخّم ـ الذي قد ينتج أنْ تلحق بالإسلام أمور ليست منه ـ لَدافَعَ عن وضعه بقوله : أليست عزة المسلم مطلوبة ؟.. أليس احترام العلماء واجباً ؟.. الخ . والحق أن يقال له :

صحيح أن ما تقوله من الإسلام ، ولكن ليس هذا فحسب هو الإسلام !..

ورجل أو شاب آخر !.

ترك من الإسلام معظم تعاليمه ، إنْ لم نقل كلها ..

واعتبر نفسه بعد ذلك مسلماً !. ولا يقبل أن يتنازل عن هذه الصفة ، أفليس بصاحب أخلاق جيدة ؟! أليس يكف عن إيذاء جيرانه والتعرض للناس ؟. أليس بصادق وأمين ، ووفي ؟ ثم يقول : ما هو الدين ؟!. أفليس الدين هو الأخلاق !. أليس هو حسن المعاملة ؟ وعدم ايذاء الناس ؟!. فهو إذاً متبع للدين ! ...

ذلكم هو الإسلام (الأخلاقي) الذي تكثر نماذجه الآن ، إنه وضعٌ جعل صاحبه مطمئناً لحاله ، ومسوغاً تصرفه من الإسلام ، ومَنَعَهُ من استكمال الجوانب الأخرى .. ونعود للقول ، فنردد : .. صحيح أنّ الأخلاق جانب أساسي مهم من الإسلام ، ولكنها ليست فقط هي الإسلام .

وثالث : لا يرى من الإسلام إلا جانب شؤون الحكم والدولة ، بحيث تضخم عنده وصار — كما يعبر وضعه الواقعي لا أقواله النظرية — لا يرى من الدين إلا هذه الأمور ، بحيث أهمل الجوانب المهمة الأخرى ، أو لم يمنحها النسبة الصحيحة من قيمتها .

صحيح أن شؤون الدولة والحكم من الإسلام ، ولكنها

ليست وحدها هي الإسلام .

إنه جانب إن تضخم لا يعطي للمسلم إلا الصبغة (السياسية)[1] في نظر الآخرين ، مهما اعترف بعدها بلسانه أن الإسلام دين شامل ..

ولو أردنا استعراض أمثلة مختصرة أخرى ، لوجدنا إسلاماً (اقتصادياً) فقط . وإسلاماً (قانونياً) وإسلاماً (خرافياً)!!! أحياناً مع الإشارة إلى الفرق بأنّ هذا الأخير ليس نتيجة لتضخيم جانب ، واعتباره بذاته ، ثم إهمال ما تبقى ، كلا ، فالإسلام أصلاً ليس فيه خرافة ، ولكن هذا الإنسان قد كوّن لنفسه عدة مفاهيم خرافية !. واعتقد بها ، وجعلها هي الإسلام . فأضحى في نظر الآخرين (مسلماً خرافياً) !.

وإنها لأعجوبة شيطانية ماكرة ، أنْ يجعل المرء ما عنده فقط من مفاهيم جزئية أو مخترعة هي الصواب ، وغيرها الزيغ والباطل . فبإهمال ما ليس من الإسلام ، كالخرافة ، وقدسية الأشخاص ، وبإعطاء الجوانب الأخرى حقها ، ونسبتها الصحيحة عملياً قد نصل إلى تمثيل أقرب صحة للإسلام ،

---

(١) حسب المفهوم الشائع للسياسة .

ذلك حينما نكون متزنين وموازنين بدقة بين مختلف المجالات، بمنحها القيمة الفعلية من الأهمية والتي حددها القرآن الكريم، أو حددتها مبادىء الإسلام، وخطوطه الأساسية، وتصوراته المتفردة إن هذا طبعاً يحتاج إلى يقظة تامة، وضمير حساس يقظ، ونفس ساهرة، للحراسة المستمرة لهذه الثغرة النفسية (التسويغية)، التي قد يدخل الشيطان منها .. وهي حيلة التضخيم (للتبرير).

هذا الاتزان ينبغي أنْ يكون دقيقاً تاماً، بحيث لا ينجو الإنسان من مزلق، ليقع في آخر كأنْ يترك التعلق بالدنيا، ليقع في عزلة تامة! أو تحريم عملي لما حال الله!، أو أن ينجو من تضخيم كرامة شخصه ليقع في بَخْسِ نَفْسَه حقها، أو إذلالها بأمور فارغة!. فهذه مزالق لا تختلف عن الأخرى، إذ أنها كلها مبالغة وتضخيم، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم بحق أصحابها: (هَلَكَ المتَنَطّعُونَ) أي المبالغون في الأمور، المضخمون لها، المتشددون في غير موضع التشدد، فعلينا دائماً أنْ نبقى داخل إطار الإسلام الشامل دون أنْ نتبع أية خطوة شيطانية، من شأنها أنْ تفصل عنا جزءاً من الإسلام! بل أجزاء.

فالله عز وجل يقول :

﴿يا أيّها الذين آمَنُوا ادْخُلُوا في السِّلْمِ كافّةً وَلا تَتّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ ، إنّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ *.

ذلك أن اتباع خطواته يمنعنا من امتثال الإسلام الكامل ، بأن نترك جانباً هاماً منه بحسب الحيلة النفسية التي يحتالها علينا . فلقد رأينا كيف نُحرم من التنفيذ العملي لمشاريعنا نتيجة للعائق الوحيد ، وكيف نحرم من التحرك والبناء والنقد الذاتي ، نتيجة للكمال الزائف ، ثم كيف نترك جوانب هامة عديدة من الإسلام ، من جراء تضخيم ناحية معينة فقط .

---

* البقرة : ٢٠٨

خاتمـــة

(خلاصة البحث)

إنَّ الشيطان الذي يُضل كثيراً من الناس لعدم إعقالهم ، أو علمهم ، أو وَعيهم لألاعيبه وحيله ، ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ، أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ ؟* . إنه هو يبرئ ... نفسه ممن أضلهم حينما ينتهي الأمر بيوم الحساب : ﴿وقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ : إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ، وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي ، وَلُومُوا أَنفُسَكُم ..﴾ *

ومن يستجيب للشيطان لا يعترف صراحة بأنه يصيخ لندائه ويستمع له ، ولا يقر بذلك ، بل قد لا يشعر به ، ذلك لأن هذه الاستجابة ليست رغبة فقط ؛ بل هي نتيجة !... ونتيجة

---

* يس : ٦٢

* ابراهيم : ٢٢

أكيدة للجهل بحيله ولعدم العلم بمكره وبمداخله الخفية .

فالعبارة القرآنية « فَلاَ تَلُومُونِي ، وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ » تدل على هذا . كذلك إنّ الاستجابة للشيطان ليست إلا نتيجة لإغراء الدعوة التي يطلقها أيضاً ، لكونها تدخل إلى النفس من حيث لا تتوقع ، ومن طريق إما تجهله !. وإما تأمنه !. وإما تحبه !. فطالما أنّ هذه الاستجابة أصبحت نتيجة لمسببات تحتم حصولها ، لذا كانت المسألة تخضع إذا لسنة وقانون .. فكما أنّ كل ما في الكون مبني على سنة ثابتة وضعها الله عز وجل ﴿.. وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾ * .. إلا أنّ بعض هذه السنن قد اكتشفها الإنسان ، وسيطر عليها ، وسخرها ، وبعضها لما تصل إليها علومه بعد .

لكن عدم اكتشافه لها لا يعني عدم وجودها ، ومع هذا ترانا ما زلنا نعزي ما نجهل سنته إلى ناحية غيبية تماماً ، وبالأخص (موضع الهداية والغواية)[1] ما نزال نعتبره أمراً غيبياً ، وغير

---

* الأحزاب : ٦٢

(١) لا مجال هنا للتفصيل في هذا الموضوع إذ أني لا أعني بحثه من جانب إرادة الله ومشيئته وقدره، ولكن من حيث خضوعه لقانون ، وسنة ثابتة .=

تابع لقانون ، أو سنة . لذلك مما ينفعنا في هذا المجال ، أنْ نعتبر تجنب الشيطان وغوايته ، ومداخله ، يتم بأمور أهمها : تربية النفس المؤمنة ، المتزنة ، العالمة بهذه الحيل لتتجنبها .

فقضية الشيطان إذاً تحتاج إلى علم . هو (علم النفس) وليس من الضروري أنْ يتخذ هذا العلم شكلاً مدرسياً ، أو تقليدياً ، أو كتابياً معقداً ، حتى يكون علماً صحيحاً . إنما يكفي أنْ نسميّه : « دراية بالنفس البشرية والمسلمة . وخبرة بمواطن القوة والضعف فيها » .

لا شك أنّ المؤمن الذي قد علم ذلك يغدو أقدر من سواه على مقارعة الشيطان ، وسدّ مداخله الخفية . فهو إذاً بخلاف الذين يصفهم الله تعالى بقوله :

﴿ومِنَ النّاسِ مَنْ يُجَادِلُ في اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ[1]

= ومع هذا فالأمر أن لا يتعارضان . فالله تعالى يقول: «سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله هقدراً مقدوراً » .

(١) من المؤسف أن تلازم هذه الصفة أحياناً بعض المسلمين حين يدافعون عن إسلامهم بمس من عاطفتهم فقط ... والأولى بهم أن يراجعوا أنفسهم ، نزولا عند قوله تعالى : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون » .

وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴾* .

إن الجهل ، أو الخوض النظري ، أو العملي في أي أمر دون معرفة ، ودراية ، وتبصر ، لا بد وأن ينبعه اتباع للشطان المريد .

ومن هنا ندرك عظمة الأمر القرآني الخالد :

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا ﴾* .

يا أيها الإنسان :

يا مَنْ أنعمتُ عليك بالقدرة على المعرفة ، والاستعداد للعلم ، ومنحتك وسائل ذلك : (السمع والبصر والفؤاد) لا تظلم نفسك ، وتظلم وسائلك ، بأنْ تسير على غير علم ، أو هدى وسوف يحقّ عليك أمْرُ الله ، وسنّتُه ، بأنْ يضلك الشيطان إنْ أنت أهملت هذه الوسائل أو عطلت استخدامها .

فلا تخُضْ فيما لا تعرفه ، ولا تتبع ما تجهله ، لا في

---

* الحج : ٣
* الاسراء : ٣٦

تقبلك للأمور ، ولا في رفضك لها [1]، ولا في تقويمك وإصدار حكمك على أي من (عالم الأشياء) ، أو (عالم الأشخاص) ، أو (عالم الأفكار) ، وإلا أضلك الشيطان .

إن وسائل المعرفة لديك ، مسؤولة عن ذلك ومحاسبة عليه . فبواسطتها يمكنك التماس العلم، الذي يحميك استخدامه من أثر الشيطان .

ونصيحة أخرى ...

إن البقاء المستمر في كنف الله ، وذكره الدائم المختلف الأشكال ، كفيل بالتخفيف من آثار الشيطان ، أو القضاء عليها ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ * . ولا بد من الإشارة إلى أنّ هذا البحث ليس لوماً للشيطان ، وتحميلاً إياه مسؤولية الغواية ، بل إدانة لمن تجاهل أو جهل مكره !...

---

(١) الإنكار حكم يحتاج إلى المعرفة » . (في ظلال القرآن (. الجزء الأول، الطبعة الرابعة ص ٦٩ .

* الاعراف : ٢٠٠

وفي القرآن الكريم أنّ الشيطان سيبقى يردد :

﴿فَلاَ تَلُومُونِي . وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ﴾ .

والحمد لله رب العالمين .

المحتوى

الموضوع	الصفحة
مقدمة .. حول مبرر كتابة البحث	٧
تمهيد	١٠
العائق الوحيد	١٣
الكمال الزائف	٢٣
تضخيم جانب لتسويغ وضع معين	٣٢
الخاتمـــة	٤٠